

التحرير والتنوير

والجملة المعارضة تقترن بالفاء إذا كان معنى الجملة مفرعا على ما قبله . وقد جعلها في الكشاف معترضة على اعتبار وجوه ذكرها في متعلق قوله تعالى (بالبينات) . ونقل عنه في سورة الإنسان عند قوله تعالى (إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أنه لا تقترن الجملة المعارضة بالفاء . وتردد صاحب الكشاف في صحة ذلك عنه لمخالفته كلامه في آية سورة النحل .

وقوله (بالبينات) متعلق بمستقر صفة أو حالا من (رجالا) . وفي تعلقه وجوه آخر ذكرها في الكشاف والباء للمصاحبة أي محبوبين بالبينات والزير فالبينات دلائل الصدق من معجزات أو أدلة عقلية . وقد اجتمع ذلك في القرآن وافترق بين الرسل الأولين كما تفرق منه كثير لرسولنا A .

(والزير) " جمع زبور وهو مشتق من الزير أي الكتابة ففعال بمعنى مفعول . (والزير) الكتب التي كتب فيها ما أوحى إلى الرسل مثل صحف إبراهيم والتوراة وما كتبه الحواريون من الوحي إلى عيسى " عليه السلام " وإن لم يكتبه عيسى .

ولعل عطف (بالزير) على (بالبينات) عطف تقسيم بقصد التوزيع أي بعضهم مصحوب بالبينات وبعضهم بالأمرين لأنه قد تجئ رسل بدون كتب مثل حنظلة بن صفوان رسول أهل الرس وخالد ابن سنان رسول عبس . ولم يذكر القرآن لنوح " عليه السلام " والإنجيل كما فسروها به في سورة فاطر .

(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون [44]) لما اتضحت الحجة بشواهد التاريخ الذي لا ينكر ذكرت النتيجة المقصودة وهو أن ما أنزل على محمد A إنما هو ذكر وليس أساطير الأولين .

والذكر : الكلام الذي شأنه أن يذكر أي يتلى ويكرر . وقد تقدم عند قوله تعالى (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر) في سورة الحجر . أي ما كنت بدعا من الرسل فقد أوحينا إليك الذكر . والذكر : ما أنزل ليقرأه الناس ويتلوه تكرارا ليتذكروا ما اشتمل عليه . وتقديم المتعلق المجرور على المفعول للاهتمام بضمير المخاطب .

وفي الاقتصار على إنزال الذكر عقب قوله (بالبينات والزير) إيحاء إلى أن الكتاب المنزل على محمد A هو بينة وزبور معا أي هو معجزة وكتاب شرع . وذلك من مزايا القرآن التي لم يشاركه فيها كتاب آخر ولا معجزة أخرى وقد قال القرآن تعالى (وقالوا لو لا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك

الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) . وفي الحديث : أن النبي A قال (ما من الأنبياء نبي إلا أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه) إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) .
والتبيين : إيضاح المعنى .

والتعريف في (الناس) للعموم .

والإظهار في قوله تعالى (ما نزل إليهم) يقتضي أن ما صدق الموصول غير الذكر المتقدم إذ لو كان إياه لكان مقتضى الظاهر أن يقال أن يقال لتبينه : للناس . ولذا فالأحسن أن يكون لمراد بما نزل إليهم الشرائع التي أرسل الله بها محمدا A فجعل القرآن جامعا لها ومبينا لها ببلغ نظمه ووفرة معانيه فيكون في معنى قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شيء) .

وإسناد التبيين إلى النبي (E) باعتبار أنه المبلغ للناس هذا البيان . والأهم على هذا الوجه لذكر العلة الأصلية في إنزال القرآن .

والمفسر (ما نزل إليهم) بأنه عين الذكر المنزل أي أنزلنا إليك الذكر لتبينه للناس فيكون إظهاره في مقام الإضمار لإفادة أن إنزال الذكر إلى النبي A هو إنزاله إلى الناس كقوله تعالى (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم) .

(النبي إلى فإنزاله : الإنزالين بين التفاوت إلى للإيماء مرتين بلفظة أتى وإنما A E إليهم إبلاغه إلى وإنزاله مباشرة (A)